سنة الله فيمن سب رسوله ﷺ*

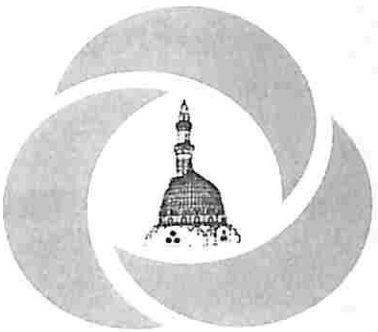

بقلم : حسام عبدالعزيز بيومي
مصر

قال تعالى: ﴿ ومِنهُمُ الَّذِينَ يُؤْذُونَ النَّبِيَّ ويَقُولُونَ هُوَ أُذُنٌ قُلْ أُذُنُ خَيرٍ لَكُمْ يُؤمِنُ بِاللهِ ويُؤمِنُ لِلْمُؤمِنِينَ ورَحمَةٌ لِلَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ والَّذِينَ يُؤْذُونَ رَسُولَ اللهِ لَهُمْ عَذابٌ أَلِيمٌ ﴿٦١﴾ (التوبة).

وقال تعالى: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللهَ ورَسُولَهُ لَعَنَهُمُ اللهُ فِي الدُّنْيَا والآخِرَةِ وأَعَدَّ لَهُمْ عَذابًا مُهِينًا ﴿٥٧﴾ (الأحزاب).

لقد جرت سنة الله فيمن افترى على رسوله ﷺ أن يقصمه ويعاقبه عقوبة خارجة عن العادة ليتبين كذبه وفتراؤه فقد روى الإمام مسلم عن أنس رضي الله عنه قال: (كان منا رجل من بني النجار قد قرأ البقرة وآل عمران وكان يكتب للنبي ﷺ، فانطلق هارباً حتى لحق بأهل الكتاب، قال: فعرفوه قالوا: هذا يكتب لمحمد فأعجبوا به فما لبثت أن قصم الله عنقه فيهم، فحفروا له فواروه. فأصبحت الأرض قد نبذته على وجهها ثم عادوا فحفروا له فواروه فأصبحت الأرض قد نبذته على وجها وهكذا في الثالثة. فتركوه منبوذاً) وفي رواية البخاري فكان يقول: (ما يدري محمد إلا كتبت له).

قال شيخ الإسلام ابن تيميه رحمه الله: فهذا الملعون الذي افترى على النبي ﷺ أنه ما كان يدري إلا ما كتب له قصمه الله وفضحه بأن أخرجه من القبر بعد أن دفن مراراً وهذا أمر خارج عن العادة، يدل كل أحد على أن هذه عقوبة لما قاله وأنه كان كاذباً إذ كان عامة الموتى لا يصيبهم مثل هذا.

وأن هذا الجرم أعظم من مجرد الارتداد إذ كان عامة المرتدين يموتون ولا يصيبهم مثل هذا. وأن الله منتقم لرسوله ممن طعن عليه وسبه. ومظهر لدينه ولكذب الكاذب إذا لم يمكن الناس أن يقيموا عليه الحد.

ومن عجيب الأمر أن المسلمين كانو في جهادهم إذا حاصروا حصناً أو بلدة فسمعوا من أهلها سباً لرسول الل ﷺ استبشروا بقرب الفتح مع امتلاء القلوب غيظاً عليهم بما قالوه!!

وقد روى العلامة ابن حجر العسقلاني في كتابه النفيس الدرر الكامنة كان النصارى ينشرون دعاتهم بين قبائل المغول طمعاً في تنصيرهم وقد مهد لهم الطاغية هولاكو سبيل الدعوة بسبب زوجته الصليبية (ظفر خاتون) وذات مرة توجه جماعة من كبار النصارى لحضور حفل مغولي كبير بسبب تنصر أحد أمراء المغول فأخذ واحد من دعاة النصارى في شتم النبي ﷺ وكان هناك كلب صيد مربوط فلما بد هذا الصليبي الحاقد في سب النبي ﷺ زمجر الكلب وهاج ثم وثب على الصليبي وخمشة بشدة فخلصوه منه بعد جهد فقال بعض الحاضرين هذا بكلامك في حق محمد ﷺ فقال الصليبي كلا بل هذا كلب عزيز النفس رأني أشير بيدي فظن إني أريد ضربه ثم عاد لسب النبي ﷺ وأقذع في السب عندها قطع الكلب رباطه ووثب على عنق الصليبي وقلع زوره في الحال فمات الصليبي من فوره. فعندها أسلم أربعون ألفاً من المغول ■

* مجلة الفتح الاماراتية . العدد ٦٧. صفر. ١٤٢٦هـ.